الفكر العربي الإسلامي والمسرح

د. عمر الطالب

جامعة الموصل / كلية الآداب

اختلف الباحثون في ارائهم حول وجود المسرح عند العرب قبل عصر النهضة الحربية : فمنهم من اكد عدم وجود الفن المسرحي عند العرب من قبل . ويرجعون ذلك إلى عدة عوامل :

١ – عدم تمتع العرب بعقلية تحليلية كاليونان والافكار عندهم لا ترتبط فيها النتائج بالاسباب بشكل متسلسل ، وان العربي ليس مبتكراً (١) . وهذا ما تؤكده سوبر قلماوي بأن العرب بطبيعة عقلهم ينظرون إلى الكليات ولا يميلون إلى التحليل . والمسرح يعتمد على العقلية التحليلية لا التركيبية ، لذا لم يعرفوه حتى وصلوا إلى اصطناع العقلية التحليلية بالمران على العلوم والمعارف (٢) وتذهب استاذتنا الفاضلة في مذهبها هذا مذهب المفكرين الغربيين مثل جوبينو ورينان القائل بأن العرب ككل الساميين يتمتعون بعقلية أدنى من عقلية الآريين ، لأن العقلية الأولى مفرقة غيبية لا تتوقع غير المعجزات بينما العقلية الآرية موحدة وجامعة (٣) . وهو قول لا يحتاج إلى رد لأنه مدحوض من الناحية العلمية فلا فرق بين العقلين السامي والآري لأن العقول واحدة ما دامت سالمة ، وما هو غير ادعاء استعماري لتبرير استلاب خيرات دول العالم الثالث .

---

(١) العرب والمسرح ص٣٣-٣٤

(٢) المجلة المصرية ، ١١١ ، ١٩٦٦

(٣) أضواء على الفكر العربي الاسلامي ص٩١-٩٢ .

٢ ــ مادية العربي وضعف الخيال لديه فالعربي بحسب ما يراه محمد مندور : «لم يكن رجل خيال محلق كسكان الجبال والغابات حيث يسبح الخيال إلى القمم او ينطلق بين الدروب الكثيفة الاشجار فيتصور انواعاً من الكائنات التي لا يراها ويخلق خياله ضرورياً من الحيوانات الاسطورية والقصص الخارقة وهو رجل يقول الشعر لينشده وكأنه يلقي خطباً تهتز المشاعر لا مجرد ناقل لفكرة أو احساس (١).» ويردف بأن المسرح يقوم «على خلق الحياة والشخصيات وتصور المواقف والاحداث لا مجرد الوصف الحسي الذي يستقي مادته من معطيات الحواس المباشرة ولا يلعب فيه الخيال الاّ في التماس الاشباه والنظائر ومدّ العلاقات بين عوالم الحسّ المختلفة عن طريق اللغة بفضل التشبيهات والاستعارات والمجازات المختلفة» (٢). ومن الثابت ان الطبيعة في الوطن العربي تكتنفها الغابات وتسمق فيها قمم الجبال الشماء. وتتلون طبيعتها اكثر من تلون الطبيعة الأوربية. وان العربي اهتم بالخيال في آدابه وعبّر عنه ببساطة تناسب حياته بأن اعذب الشعر اكذبه، أي أشده خيالاً. وخلق عالماً من الجن والشياطين وعدّ لكل شاعر شيطاناً وسمي الوادي الذي يسكنه شياطين الشعراء بوادي عبقر، كما صور الغول والعنقاء والوحوش الخرافية وتداولها في ادبه وفي اساطيره، وهكذا نجد ان حجة استاذنا مندور لا تصمد امام الحقيقة:

٣ ــ لم يعرف العرب الاستقرار في جاهليتهم في مدن وحواضر في إطار نظام اجتماعي قبلي تذوب فيه شخصية الفرد بالجماعة، مما يبعد امكانية وجود أدب تمثيلي. وكان الشعر الجاهلي في عهد الاستقرار هو المثل الأعلى (٣). وقد ذهب محمود حامد شوكت هذا المذهب بقوله «اسباب الانصراف عن هذا الفن عند العرب قد عاد فيها يرى الاستاذ زكي طليمات إلى قسوة الحياة الجاهلية وبدائية وثنيتها» (٤) ويقول زكي طليمات: «ان العرب لم يعرفوا المسرح لأنه يعتبر مرحلة أولية لم تتهيأ لها اسباب التطور والتقدم ولم تكن في الجزيرة العربية حضارة بالمعنى الكامل. انها البادية بروحها القبلية وسكانها دائمي الترحال انتجاعاً للمرعى» (٥). وإلى هذا الرأي ذهب امين الخولي بقوله: لأن صلة المسرح بالحياة الريفية قوية وثيقة وحيث لم يستقر البدوي لم تستقر المظاهر التجسيمية في وثنيته ولم يوجد عنده

(١، ٢) المسرح، ١٤-١٥.
(٣) العرب والمسرح ص٣٤.
(٤) الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث ص١٣
(٥) فن التمثيل العربي ص٩٩.

مسرح (١) . وإلى هذا الرأي ايضاً ذهب توفيق الحكيم (٢) ومحمود تيمور (٣) واحمد حسن الزيات (٤) وعباس محمود العقاد الذي استطرد قائلاً : فانما يقوم التمثيل من الناحية الاجتماعية على التجاوب بين الافراد والامر كلما تعددت العلاقات وتنوعت المطامع والنزعات ، ولم يكن في مجتمع البداوة مجال كبير لهذا التجاوب الكبير بين امرة وامرة وبين انسان وانسان . وما كان من ذلك قائماً في حياتهم البدوية أو حياتهم الحضرية فقد وجد الكفاية للتعبير عنه في القصائد والاغاني والعاب الفروسية وضروب المساجلات والمفاخرات التي تتفق لهم من حين إلى حين (٥) . وبعد ان يؤكد زكي نجيب محمود هذا الرأي يعطرت في التحليل والتفصيل حيث يقول : ولم يعرف العرب الأدب المسرحي والقصصي : لعدم التفاتهم إلى تميز الشخصيات الفردية بعضها عن بعض . ولو نشأ الكاتب في جو ثقافي لا يعترف للأفراد بوجود ، ويطمسهم جميعاً في كتلة واحدة من الضباب الادكن فلا سبيل إلى تصوير هؤلاء الافراد يصطرعون في مأساة . والشرق كله في رأيي قد طمس الفرد طمساً ولم يترك له مجالا يتنفس فيه ، فهو جزء من القبيلة لا وزن له إلى جانبها ولا قيمة له بالقياس اليها . ولا كذلك اليونان ، فالفرد عندهم هو محور التفكير ، لم يعرف الشرق أشخاصاً فلم يعرف الشرق المسرحية ولا القصة (٦) .

والمتأمل لهذه الآراء يجد ان اصحابها رموا العرب بالبداوة ونسوا المدن التي استقر فيها العرب وتناسوا الحضارات العريقة التي قامت في الجزيرة العربية ، وكأنهم لم يسمعوا بمكة ويثرب والطائف ومنى وخيبر وينبع ، وما عرفته بلاد الشام والعراق بعد ذلك من تطور وحضارة . فضلا عن ان التنقل اكسب العرب سعة الخيال وللخبرة وسعة الرؤية والشمول إلى جانب الاهتمام بالجزئيات كاهتمامهم بالكليات ودفعهم إلى التأمل والتفكير بكل جديد يمرون به ، أما ما رموا به من ذوبان الفردية بالجماعة القبلية : فإن النظام القبلي يعد من النظم الديمقراطية التي تقدس حرية الفرد وتهتم بشخصيته والا لما برزت الفردية كل هذا البروز عند الشعراء الجاهليين كأمريء القيس وطرفة وعنترة والأعشى وغيرهم ويبدو كلام زكي

(١) المجلة المصرية ، ١١١ ، ١٩٦٦ .
(٢) الملك اوديب ص٢٣-٢٥
(٣) المجلة المصرية : م .س
(٤) م : س .
(٥) أثر العرب في الحضارة الاوربية ص٢٤ .
(٦) فشورولباب ص١٣٣ - ١٣٤ .

نجيب محمود غريباً كل الغرابة بمثاليته غير مستمد من واقع الحياة العربية قبل الاسلام . ومثل هذه المثالية نجدها في رأي العقاد ، فقد كان الاتصال قوياً بين أسر القبيلة الواحدة والقبائل المتحالفة هذا في البوادي اما في الحواضر فإن العلاقات بين الافراد والأسر كانت متينة وقوية. ويؤكد محمد صقر خفاجة بأن شعر الرعاة عند الاغريق يشبه حداء الابل عند العرب وانه قد استخدم فيها الاسلوب القصصي وفي بعضها استخدم الاسلوب التمثيلي المسرحي المليء بالحركة (١) . فضلاً عن إلى ان الحياة القبلية أحدثت المنافسات والمنازعات والحروب الملحميه التي استمرت سنين طويلة كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء الحافلة بالمغامرات والبطولات والاحداث الدامية (٢) التي تساعد على نشأة الملاحم والأدب التمثيلي وكانت فعلاً نواة مهمة لظهور القصص الشعبي الذي لعب دوراً مهماً في الحياة العامة وعدّ اساساً لظهور الرواية (الحكواتي) الذي يمثل شكلا من الاشكال المسرحية البدائية .

اهتمام العرب بالشعر الغنائي والنغمة الخطابية والاوصاف الحسية . «واما النثر فلم يصلنا منه الاّ بعض جمل من سجع الكهان ... ومن البيّن ان هاتين الخاصيتين لا تنتجان شعر الدراما الذي يقوم على المواد المختلف النغمات لا على الخطابة الرنانة كما يقوم على خلق الحياة والشخصيات وتصور المواقف والاحداث ... وذلك بالرغم من انه قد كانت لهم ايام وحروب شهيرة فانهم لم يصوغوا تلك الايام والحروب أو بعضها في صورة ملاحم بالرغم مما نعثر عليه في شعرهم من قصائد تصف الحروب والمعارك وذلك لأن الشعر العربي لم يصبح يوماً شعراً موضوعياً منفصلا عن قائله خالصاً للفن في ذاته على نحو ما حدث عند اليونان في الملاحم والمسرحيات وذلك لان الشعر العربي ولد وظل شعراً غنائياً» (٣) . وكما هو واضح ان مندوراً يناقض في الجزء الاخير من رأيه ما أورده زكي نجيب محمود والعقاد . وإلى هذا الاتجاه ذهب توفيق الحكيم (٤) . وهما متأثران برأي المستشرق الفرنسي جاك بيرك الذي يقول : ان التقاليد العربية تعاني بالنسبة للمسرح من مشكلتين ، ولذلك جهلت التعبير المسرحي ، لانها لم توفق إلى اعطائه اللغة المناسبة : أولا هما عدم تناسب اللغة للعربية الكلاسيكية

---

(١) شعر الرعاة .
(٢) الحضارة العربية ص٢٣
(٣) المسرح ، ص١٤-١٥ .
(٤) الملك اوديب ٢٦-٢٨

مع المتطلبات الداخلية للغة الدرامية والثانية صعوبة اختيار واحدة من اللغات العربية الثلاثة وهي : الاشارة والتعبير والدلالة . ولغة الشعر العربي تختلف دائماً عن لغة الحياة اليومية فهي لغة كلاسيكية تشبه بستاناً جميلاً ، ولكنه بستان متجمد والمسرح بتكوينه هو اللغة التي لا تحتمل القوالب الجامدة (١) :

واذا استثنينا الدور القومي البارز الذي لعبته اللغة العربية في وصل حبل التفاهم بين العرب جميعاً من المحيط إلى الخليج ، فإن اللغة العربية كأية لغة أخرى حيّة قادرة على التعبير الذاتي والجماعي : العاطفي والموضوعي ، وقد أكد العديد من النقاد العرب القدامى والمحدثين على وظيفة اللغة في توصيل المعنى إلى المتلقي . وخير دليل على ذلك ما أكده ابن جني حين قال : ان اللغة العربية أكثر اللغات قبولاً للإشتقاق لتنويع المعنى الأصلي وتلوينه واكسابه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة وتعدية ومطاوعة ومشاركة .. الخ . ومنها وفرة الألفاظ الدالة على الشيء المنظور اليه في مختلف درجاته واحواله وهذا يكسب اللغة وفرة في التلوين الداخلي بالاطياف والظلال والصور الذهنية المتعددة ومنها الايجاز في اللفظ والتركيز في المعنى دون الاخلال بالوضوح والتميز . ويقول العقاد : ان اللغة العربية في طليعة اللغات المعبرة ، فلا يعرف علماء اللغة لغة قوم تترأى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم والفاظهم ، كما تترأى لنا أطوار المجتمع العربي من مادة الفاظه ومفرداته في اسلوب الواقع واسلوب المجاز (٢) . ان اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ولغة الأدب الثرّ الذي أفادت منه الحضارة الأوربية الحديثة نفسها ، ومعجمها الذي لا يضاهيه أي معجم آخر لأية لغة في العالم بسعته وشموله وكثرة مفرداته القادرة على خلق الحوار الجيد والتعبير عن الفعل والحركة والصراع وهذا ما لمسناه سواء في الشعر العربي أم في النثر منذ عصر ما قبل الاسلام .

٥ — لم يجد العرب أمامهم نماذج من الشعر التمثيلي ليقتدوا بها ، وعندما دخل العرب بالحضارة إلى بلاد الروم كان الادب التمثيلي مهجوراً عند أهله إذ أن للدولة البيزنطية في العصر المسيحي أهملت فن التمثيل واعدته من مخلفات الوثنية ، فكان بالنسبة اليهم غير موجود (٣) . وإلى هذا الرأي ذهب طه حسين ، وأكد قائلاً : ولو كان معروفاً حين ترجم

---

(١) الاسلام والمسرح ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠

(٢) م . س ص٥٣ عن كتاب ابن جني في الخصائص ط١ ص٢٢٨-٢٢٩ عن مقال للعقاد بعنوان لغة التعبير ، مجلة الأزهر مارس ، ١٩٥٩ .

(٣) العرب والمسرح ص٣٤

العرب ثقافة اليونان لما ترددوا في ترجمته (١) . ويقرر طه حسين بأن الأدب العربي عرف الفن القصصي (٢) . ويذهب عبدالرحمن بدوي إلى أبعد من هذا فيقول : وإلى جانب الأدب أتاح الاسلام لفنون التشكيل والتصوير والنقش والعمارة ان تطرد بروح العالم الجديد الذي بشّر به الاسلام ، وقد تلقى العرب في موطنهم بعض النماذج المتأثرة بالمسرح الاغريقي حين تدهور هذا الفن وحين تحطمت صيغة الحياة التي بررت ازدهاره في بلادة الأصلية (٣) . ويربط صلاح عبدالصبور بين الحضارتين الاغريقية والحضارة العربية المعاصرة لها قبل الاسلام والتي ازدهرت في اليمن والشام والحجاز منذ ١١٠٠ — ٢٦٠ ق.م. وقد احتوت هذه الحضارة على ما وصلنا من شذرات واخبار على العديد من الوان الفكر والفن (٤) . وكما يشير دبرودت إلى العلاقة بين الحضارتين الاغريقية والفرعونية ، فلابد من تواصل بين الحضارة الاغريقية والحضارات العربية القديمة ، ومن الاحتمالات المؤكدة ان هوميروس قد تأثر في كتابة ملحمتيه الالياذا والاوديسة بملحمة كلكامش البابلية. وذهب توفيق الحكيم في تبرير عدم ترجمة المسرحيات الاغريقية والرومانية إلى القول « المعرف انه عقب فتوح الاسكندر تغلغل الروح اليوناني في اسيا وكانت سوريا وما بين النهرين من أهم المناطق التي خضعت لنفوذ الحضارة الاغريقية ، هناك في صوامع النساك السوريين المنتشرة في تلك البقاع نشطت على مدى القرون حركة ترجمة واسعة للمؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية ، ومن هذه الترجمات السريانية جاء العرب بعدئذ ونهلوا ونقلوا ، ولم يكن الشعر من بين ماعني به اولئك الرهبان ، ولكن الذي حدث هو ان كثيرين من العرب تعلموا اليونانية بعد ذلك واستطاعوا أن ينقلوا عنها مباشرة وكان مما نقل منها إلى العربية كتاب فن الشعر (اليو يطيقا) لأرسطو وفيه تعريف بالتراجيديا والكوميديا وما اليهما من فنون الشعر التمثيلي (٥) ثم يتساءل الحكيم لماذا لم يترجم العرب المسرحيات الأغريقية بعد ذلك وينبه في العمومیات والانشائية ويلمح إلى المسائل التي أثرناها وناقشناها ولكنه لم يتوصل إلى الرأي الذي وصل اليه حسين والمذكور آنفاً ،

---

(١) المجلة المصرية ، ١١١ ، ١٩٦٦

(٢) من حديث الشعر والنثر ص٢٧

(٣) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص٣٣

(٤) العرب والمسرح ص٤٠-٤١

(٥) الملك اوديب ص١٥-١٦ .

٦ ـ كانت وثنية العرب في عصر ماقبل الاسلام وثنية ساذجة لم تتطور ولم تتمخض عن طقوس ومراسيم تؤدي الى نشوء فن التمثيل كما نشأ عند اليونان من طقوس عبادة الاله ديونسيوس إله الخصب والخمر . اما عند الاسلام فقد وجد العربي في عقيدته وضوحاً لايحتاج الى تأويل . ومن أجل ذلك اعرضوا عن ترجمة ادب اليونان لما يتضمنه من آلهة متعددة وعبادة للابطال (١) . وذهب هذا المذهب محمود حامد شوكت (٢) . وسهير قلماوي (٣) وزكي طليمات (٤) وامين الخولي الذي أكد صدوف العربي عن ترجمة المسرح عن الاغريقية لانه وثني، وانصرافه الى ترجمة الفلسفة (٥) . وهنا يكمن التناقض في قول امين الخولي . ألم تنبع الفلسفة من طبيعة المجتمع وحضارته ، أليست الفلسفة مرتبطة إذا بالوثنية الاغريقية ؟ وبالتالي ألم ترتبط المسرحيات الاغريقية بالفلسفة والوثنية والحضارة الاغريقية ، فاذا كان الدين الاسلامي توحيدياً يجب الوثنية فلماذا ترجمت الفلسفة الا غريقية واتخذت اساساً لمدارس فكرية وفقهية اسلامية ، ولماذا تأثر بها المعتزلة كل هذا التأثر بينما لم يجرأ أحد على ترجمة الأدب الأغريقي ؟!! .وذهب محمود تيمور هذا المذهب أيضاً(٦) وذهب أحمد أمين هذا المذهب ولكنه ربط بين منع الدين الاسلامي للتصوير وبالتالي بمنع التمثيل ، لأن الاسلام يمنع التجسيم ، كما أكد على حجاب المرأة وابتعادها عن الظهور وان المسرح يحتاج الى المرأة لتجسد النصف الثاني من المجتمع (٧) . وتعود جميع هذه الآراء الى ماأورده المستشرق الالماني جوستاف فون جرينيوم من ان الاسلام لم ينجح في خلق فن مسرحي برغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية وهذا لايعود الى سبب تأريخي قدر مايعود الى مفهوم الانسان في الاسلام . الذي يمنع وقوع أي نوع من التحدي للقوى العليا والمؤمن بالقضاء والقدر . فاذا لم تكن هناك حرية في اختيار حقه واذا لم يكن لهذا الخيار المعنى يتجاوز به الحالات الخاصة واذا لم تنعكس هذه الحرية على القطب الاخلاقي في الروح نفسها فان الانسان العادي لايمكنه أن يصبح انساناً دراماتيكياً .

---

(١) العرب والمسرح ص٣٤

(٢) الفن والمسرح ص١٣

(٣) المجلة المصرية ، ١١١ ، ١٩٦٦

(٤) م . س

(٥) م . س

(٦) فجر الاسلام ص ١٣٥-١٤٠

(٧) العرب والمسرح عن مجلة ديوجين، العدد ٤٨ ، ١٩٦٤

ويلاحظ جاك بيرك ذلك فيقول : ان الشخصية الاسلامية التقليدية تنتسب لنظام الكون لذلك فهي تهرب من الكثير من العذاب والألم ومن مواجهة الكثير من المشاكل ، انها سعيدة سعادة التوافق (١) . ويعلق محمد عزيزة على كلام جاك بيرك موافقاً : ان التواصل بالذات الآلهية هو الذي يمنع حركة التمرد ، وليس الخوف وحده ، لأن التمرد كما نعرف هو انفصال قبل أي شيء آخر (٢) . ويمضي محمد عزيزة في تساؤلاته : هل يمكن للمسلم أن يضع حريته الشخصية أمام ارادة الله ، أو أمام الكيان الاجتماعي لمدينته ؟ أو يواجه بها منطق التاريخ والقدر أو ان يكتشف اخيراً في اعماقه انساناً آخر يصارعه ؟ وتجاه القدرة الآلهية المطلقة فان تصرف الانسان يتقاص الى ادنى درجاته ، ان ارادة الانسان هي جزء من ارادة الرب الشاملة ، ومن هذه الزاوية لايمكننا تصور نشوء صراع يتواجه الكل مع شيء صغير منه(٣). ويضيف المستشرق الالماني هنريش بكر الى ذلك أن التراث اليوناني أدى الى ايجاد النزعة الانسانية في اوربا بينما لم يؤد الاسلام الى نفس هذه النزعة ، وترتب على هذا اختلاف في المضمون الفعلي في كل منهما وان العالم الاسلامي لم يأخذ من التراث اليوناني الا ماكان ذا نزعة عقلية منطقية اما الاشياء التي كان نصيب الروح اليونانية في صياغته اكثر من نصيب العقل ، مثل الشعر الغنائي أو الأدب الروائي ، وكل ماكان يونانياً بحتاً كآلهة هوميروس، كل هذه الامور ظلت مغلقة امام الشرق ، بنما نجد في الغرب انه تأثر بهذه الأمور اليونانية الاصيلة اكثر من غيرها (٤) .

وردنا على هذا الادعاء أن الله بوأ الانسان منزلة كبيرة في الاسلام : «ولقد كرمنا في آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا(٥)» . وتظهر الصفة البشرية للخالق من خلال القرآن الكريم : «وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق (٦)» واسقط الطبقية والتفاضل بين الشعوب الا بالعمل الصالح والتقى : «ياأيها الناس انا خلقناكم

(١) الاسلام والمسرح ص٢٧
(٢) م . س ص٢٧
(٣) م . س ص ٢٣ ، ٢٥-٢٦
(٤) العرب والمسرح ٣٢-٣٣
(٥) القرآن الكريم ، سورة الاسراء ٧٠
(٦) سورة المائدة ، ١٨

من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم (١)». وقد دعا الاسلام الى القضاء على الرق والعبودية : «فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ماالعقبة فك رقبة ، أو اطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة (٢)» . وتتجلى انسانية الاسلام بالحث على تقديم المساعدة لليتامى والمساكين ودعم ذوي القربى واسداء العون اليهم ان كانوا بحاجة اليه : «أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدعّ اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون (٣) . «ليس البرُّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس . اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون(٤)» وقد حدّد القرآن الكريم مصارف الصدقات وجعلها ثمانية ، تتمثل فيها الأسس الانسانية افضل تمثيل : «انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفةِ قلوبهُم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابنِ السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم (٥).

وتوضح عائشة عبدالرحمن السمات الانسانية للاسلام بقولها : «وفرض الاسلام على المؤمن تحرير رقبة كفارة لعدد من الذنوب : الحلف في الايمان : المائدة ٨٩. والقتل الخطأ النساء : ٩٢ . والظّهار ، المجادلة : ٣. والبيان القرآني حين يتحدث عن تحرير العبيد فيذكر الرقاب بصيغة الجمع ، فمسؤلية التحرير فيها على الجماعة وولي الأمر والعبء فيها على المال العام للمسلمين. اما حين يستعمل الرقبة بصيغة المفرد فهذه هي مسؤلية الانسان فرداً ، إما احتمالاً لأماتة انسانيته واقتحاماً للعقبة في سبيل تحقيق الوجود الحر (٦)». وتتجلى انسانية الاسلام في مساعدة المستضعفين والفقراء لمساعدتهم في التغلب على صعوبات الحياة : «وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم اللهُ من فضله واللهُ واسع عليم(٧) .

---

(١) الحجرات ، ١٣
(٢) سورة البلد
(٣) سورة التكاثر
(٤) سورة البقرة ، ١٧٧
(٥) سورة التوبة ، ٦٠
(٦) القرآن وقضايا الانسان ص٨٨
(٧) سورة النور ، ٣٢

ويؤكد الاسلام على استقلال شخصية الانسان والاهتمام بذاتيته وخصوصيته يقول محمد عزيز الحبابي : «مفهوم الاستقلال الذاتي . هو ذاك الشيء الخاص بكل شخص ، تعني واقع فرديته المخصصة له ، .. لا وجود لنموذج انساني أو لقالب يفرغ فيه جميع الاشخاص ليكونوا على نمط واحد ، أذ لكل شخص وجهته وتطلعاته الخاصة وهي منبع لاينضب من العفوية والمبادهة (١)» . ويؤكد رأيه بآيات كريمة : «لكل وجهةٌ هو موليها ، فاستبقوا الخيرات ، قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلا (٢)» .

وورد المعنى ذاته في الحديث الشريف «اعلموا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له» . ويأتي التأكيد على انسانية المسلم ماورد في خطبة الرسول (ص) : «الناس من آدم وآدم من تراب (٣)»

وورد تأكيد على شخصانية الفرد المسلم في القرآن الكريم في آيات كثيرة مثل «إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً واما كفورا ، ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين (٤)» ويعترف الاسلام بالقيمة المهمة للعقل والتفكير عند الانسان «تبتدىء الشخصانية عندما يرفض الشخص الطاعة العمياء ... وليس هو الخضوع الاعمى الذي يفرضه مذهب من المذاهب ولو كان دينياً (لاأكراه في الدين ، البقرة : ٢٥٦) لهذا لاتقبل في الاسلام أية وساطة بين البشر وبين ربهم . اكليريكية كانت أو غيرها (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ، البقرة : ١٨٦) ... واصبح الشخص موضوعاً للأحكام الشرعية بصفته كائناً مسئولاً عن فعالياته ... لقد اصبح الشخص ذاتاً لها حياتها الخاصة واستقلالها الذاتي ... وبفضل الدين الجديد حصل انقلاب جذري في ذهنية ووجدان العرب : ... فقد صار شخصاً يشعر بشخصيته في ذاتها ... ويبرز مايتسربل فيه الانسان من كرامة وقدسية عندالله ، هي انه تعالى قد حباه من بين جميع المخلوقات فسخّر له كل ما في الكون (٥)» وتؤكد لنا سورة ابراهيم مافعله الله من اجل البشر : «الله الذي خلق السماوات والأرض . وانزل من السماء ماءاً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم .وسخّر لكم الفُلك لتجري في البحر بأمره ... وسخّر لكم الانهار . وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين . وسخّر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ماسألتموه . وان تُعدوا نعمة الله

(١) الشخصانية الاسلامية ص١١
(٢) البقرة ، ٤٧ والاسراء ، ٨٤
(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص٢٧٥ .
(٤) الانسان ، ٣، البلد ، ١٠
(٥) الشخصانية الاسلامية ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٣

لاتحصوها (١)» . ومما يدلل على انسانية الانسان وتملكه لاختيار وعيه الخاص قوله تعالى «كل نفس بما كسبت رهينة ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (٢)» . ومما يدلل على اختيار الانسان لطريقه في الحياة وجود الاوامر والنواهي التي ذكرها القرآن الكريم ووجود الثواب والعقاب . وقد ذكر الامام النووي في شرح صحيح مسلم قوله : قال الخطابي : وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ماقدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وانما معناه ؛ الاخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها ،.. فعلم الله تعالى صفة كاشفة ليس لها تأثير كالقدرة فلا تعني اجبار للعبد على شيء ما (٣) . وتتجلى انسانية الانسان في الاسلام بما اورده القرآن الكريم من عدم الاعتداء في القتال ومساعدة المستضعفين والمساكين : «وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان (٤)» . «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم .. واذا ماغضبوا هم يغفرون ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ... ان الله يأمر بالعدل والاحسان ... اعدلوا هو اقرب لتقوى (٥)» .

هكذا ينظر الاسلام الى الانسان ، وجعله يتصرف بادراكه ووعيه حراً كريماً شجاعاً لايرضى الذل والهوان . وقد صوّر الشعر العربي وهو (ديوان العرب) الانسان العربي بأسمى مايتصف به الاخلاق السامية . وجمع العربي في شمائله وخلاله كل مافي المروءة من معنى ومن اخلاق عالية ، ومنح الاسلام للمرأة حرية كاملة وساواها بالرجل في الحقوق الاجتماعية وامام القانون . وسمح لها بالخروج الى مجالس الرجال وابداء الرأي والمناقشة وظهر منهن الفقيهات كعائشة ، والاديبات كالخنساء وليلى العفيفة وليلى الاخيلية والمتصوفات كرابعة العدوية والمقاتلات الشجاعات كخولة بنت الأزور والناقدات وصاحبات المجالس الأدبية

---

(١) سورة ابراهيم : ١٤ ، ٣٢ ، ٣٣

(٢) المدثر : ٣٨ ، الكهف : ٢٩

(٣) اصول الدين الاسلامي ص١٥٩ ، ١٥٧-١٥٨

(٤) النساء

(٥) البقرة ، البقرة ، الشورى ، الشورى ، النحل ؛ المائدة ، عن المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي

والفنية مثل سكينة بنت الحسين وعقيلة بنت عقيل بن ابي طالب : ولا أريد التطويل لأن ذكرهن يملأ مجلداً كاملاً فضلاً عن أن الاسلام سمح بترجمة كتب وثنية كانت حكايات بعضها تستقى من الملحمة الهندية المعروفة بألمها بهارتا الوثنية الهندية ، ولم يحرم الاسلام الرسم بل ازدهر الرسم في العصور الاسلامية وظهر النقش البارز بالخشب والمرمر والمعادن : وبلغ فنا الرسم والنحت درجة عالية من الأبداع في العصور الاسلامية المزدهرة ومازالت الآثار الاسلامية في الوطن العربي والاندلس والبلاد المفتوحة تدلل على اهتمام العرب المسلمين بالرسم والنحت والنقش وهكذا نجد ان التجسيد لم يحرم في الاسلام وبذا لايمكن ان يكون تصوير الشخصيات التمثيلية تحديداً لقدرة الله ومشاركة له في قدرته على الخلق ... ان الاصل الفني والفلسفي لعملية الابداع والتي يتم فيها تصوير الشخصيات هو المحاكاة كما قال ارسطو في كتابه فن الشعر ... هي محاكاة الطبيعة بالمخلوقة من قبل الاله (١)» ، اي انها عملية ابداعية وبهذا أختلف عن افلاطون الذي عد المحاكاة تقليداً . والأدب برمته عملية ابداعية سواء أكان شعراً غنائياً أم تمثيلياً أم ملحمياً أم كان نثراً . فاذا سمح الاسلام بترجمة العلوم والفلسفة والآداب الاجنبية اليونانية والهندية وكلها وثنية فهل يخشى على الدين الاسلامي من الأدب التمثيلي اليوناني فقط ؟ أليست الفلسفة اليونانية أشد خطراً ؟ فلماذا إذا لم يمنع ترجمتها بل على العكس تدارسها المسلمون وتأثروا بها ؟!! .

اما ادعاء من قال بأن التراجيديات صعبة الفهم بالنسبة للعرب فما هي صعوبتها تجاه كتب الفلسفة لافلاطون و ارسطو وبطليموس والكتب العلمية والفلسفية الأخرى (٢)؟!!

انها اراء لا تصمد امام الحقيقة العلمية والمناقشة الجادة . اما من ادعى بأن وثنية العرب كانت ساذجة غير متطورة . فان العقل العربي ليس عقلا تجريدياً فقد عرف الاسطورة والحكاية والمثل والقصة . وعبّر بالحركة والايقاع في فنونه ، وعرف المنشد للجوال وليس ما كان يفعله الاعشى صناجة العرب خافياً على أحد ، وعرف العرب الرواية والرواة ولم يفرق في المثالية والابراج العاجية ، بل اتسم دائماً بالوسطية اي البعد عن الطرفين الحادين : الانحراف والعنف ، كما اتسم بالتكاملية اي الربط بين الروح والمادة والفرد والمجتمع ، كذلك اتسم بالحركة التي تتمثل في القدرة على مواجهة التطور ومجافاة الجمود » (٣) . فأية سذاجة يدعون

---

(١) العرب والمسرح ، ٣٧-٣٨ .

(٢) م . س ، ٣٨

(٣) اصالة الفكر العربي الاسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ص٥٨

وأي تخلف ؟! واثر الحضارة العربية في وادي الرافدين ظاهرة كل الظهور في الآداب والعلوم اليونانية القديمة ؟! وملاحمهم الشهيرة متأثرة بالملاحم البابلية ؟!

٧ – ويعرض مندور فكرة صراع الانسان ضد القضاء والقدر ، كان المادة الاساسية لمآسيهم المسرحية بينما ينفي ان تتفق هذه الاوضاع مع فلسفة الاسلام الذي نادى بالوحدانية ، وتصور الاله منفصلا عن عالمنا البشري ومسيطراً على مصائره سيطرة تامة وانه مزج إلى حد بعيد بين الجبر الكوني والارادة الالهية وجمع بينهما فيما يسمى القضاء والقدر (١) . ويعرض محمد عزيزة لنفس الفكرة مفصلا في انواع الصراع التي كانت سبباً في نشوء المسرح الأغريقي وادى استحالتها – كما يعتقد – في الفكر الاسلامي إلى غياب المسرح عند المسلمين العرب.

ويقسم محمد عزيزة الصراع إلى اربعة اقسام :

(آ) الصراع العمودي : وهو الصراع الذي يجسد المواجهة بين الحرية البشرية والارادة الالهية ويمثله بمسرحية (بروميثيوس مقيداً) .

(ب) الصراع الافقي : وهو الذي يجسد المواجهة بين حرية الفرد وارادته وبين الكيان الاجتماعي وقوانينه ويمثله بمسرحية (انتجيونا) .

(ج) الصراع الديناميكي : وهو الصراع الذي يجسد المواجهة بين العفوية البشرية وبين القدر الذي لا مفر منه ويمثله بمسرحية (الفرس) .

(د) الصراع الداخلي : الذي يجسد التناقضات الداخلية عند البطل المأساوي والتي تفجره وتوجه حدثه نحو اكمال وجوده ويمثله بمسرحية (اوديب ملكا)(٢). ويتساءل محمد عزيزة : هل يمكن للمسلم أن يضع حريته الشخصية امام ارادة الله او امام الكيان الاجتماعي لمدينته؟ او يواجه بها منطق التاريخ والقدر او ان يكتشف اخيرا في اعماقه انساناً اخر يصارعه؟ (٣) . ويوافق جميل نصيف هذا الرأي ويعده السبب الأساس في عدم ظهور المسرح في الاسلام . (٤) حيث يرد اراء محمد عزيزة مؤكداً لها ومتفقاً معها «ان اكتشاف الانسان لنفسه كذلك للالهة او كشخصية مستقلة تحيا وحدها تجاهه يعني القول بوجود ارادتين : ارادة الانسان وارادة الله ، وبالنسبة للدين الاسلامي

---

(١) محاضرات عن مسرحيات شوقي ص٥

(٢) الاسلام والمسرح ص١٧–٢٢ .

(٣) م . س ص٢٣ .

(٤) مقدمة في دراسة المسرح العربي ، مجلة كلية الآداب ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ .

التقليدي فان مثل هذه الثنائية كما يرى الباحث محمد عزيزة. ليس غير موجود فحسب بل غير متصورة على الاطلاق ... والانسان ليست له اهمية الا بكونه قطعة صغيرة في محرك ميكانيكي كبير.. انه بين يدي الرب.. وكما كشف الباحث عن الاسباب الكامنة وراء منع قيام صراع بين الانسان المسلم وخالقه يسعى ايضاً للكشف عن مسؤولية الدين الانساني نفسه من صرف الانسان المسلم عن مواجهة مدينته وقوانينها.. وكل من يخرج عن مجموعة المسلمين ولو مقدار فارق شعرة فانه يموت كافرا.. ان صراع الانسان مع القدر اي مع التاريخ الدرامي شيء يصعب تصوره في اطار الاسلام التقليدي.. والتاريخ لايمكن ان يأخذ بعدا دراميا الا اذا احسسنا بوجوده الموضوعي المستقل عن رغباتنا الشخصية والذي لايخضع لها اما بالنسبة للاسلام التقليدي فالتاريخ لايتطور جدليا وانما دوري واسطوري.. وبين فترة واخرى يأتي الانبياء والرسل يذكرون الناس بهذا الميثاق وهذا الزمن البعيد غير المحدد والذي يخلق الاسطورة ولا يمكنه ان يخلق الدراما. ان هذا الفكر التقليدي قد ملا التاريخ بتفسيرات تعود كلها الى حتمية متفائلة تركز على الانسجام لنظام العالم وتجعل الانسان المسلم يتحرك بعيدا عن التناقضات والصراع . اما بخصوص الصراع الداخلي.. يتجلى بقبول شامل وبالتالي فان الصراعات النفسية والفردية تتجه نحو «الذوبان في بوتقة التصرفات الجماعية.. ولو توفرت مثل هذه الحتمية التاريخية لقيام مسرحية عربية لخلقت هذه المسرحية نفسها وخلقت معها التقاليد المسرحية بما فيها تلك المتعلقة باللغة المسرحية»(١) .

واذا كان جميل نصيف قد اكد اراء محمد عزيزة لتأييد ماراد الذهاب اليه فان عزيزة قد استعان بآراء المستشرقين لتثبيت رأيه حيث يورد رأي لويس غاردية : « من المدهش ان يظل الفن المسرحي مجهولا في الاسلام وهذا يعود الى صعوبة تنظيم العروض المسرحية في مجتمع يحارب فيه رجال الاخلاق والمحافظين تمثيل الادوار النسوية ، ويعود اكثر من ذلك الى المعنى الأليم للقدر الانساني فان الصراع والعواطف النفسية التي تعتبر الاعادة الاساسية للدراما أو التراجيديا وتحليل الطباع الذي تقوم عليه كل الكوميديات الكبيرة الانسانية لم تكن قط من خصائص المجتمع الاسلامي القديم فهذا العراك بين الانسان وقدره الذي مجده وكتاب المسرح اليونان لايتناسب مع مفهوم الحياة ولا مع العلاقات التي تربط الانسان بخالقه في المجتمعات العربية او الاسلامية»(٢) ويمضي محمد عزيزة

---

(١) م . س

(٢) الاسلام والمسرح ص٥٨

لتثبيت رأيه بقوله : « ان ارادة المسلم جزء من ارادة الله لذلك لايمكن ان تواجهها وان الانتماء المطلق للانسان المسلم لمجموعته ومفهوم التاريخ اللادرامي عنده يمنع وجود هذا الصراع على مستويه الثانيين اي ان الفردية مصدر كل صراع داخلي لتبدو مستحيلة لذلك فان وعيه بالمجموعة التي تحيط به والتي يرى نفسه مجبرا على الانتماء اليها يتجلى بمستوى قبول شامل وبالتالي فان الصراعات النفسية والفردية تتجه نحو الذوبان في بوتقة التصرفات الجماعية هذه هي قصة الطلاق الذي حدث بين المسرح والاسلام. وان هذا التعارض بين المسرح والدين لم يكن ظاهرة تميز بها الاسلام فحسب وانما كانة الديانات التي تقول بأله واحد والتي اقامت حداً بينها وبين الفعل المسرحي ولكن طبيعة الديانة المسيحية التي فصلت بين الامور الدينية والدنيوية في المدينة المسيحية والصراع بينهما قد خففت من ظاهرة اجتماعية على فكرة المسرح من سيطرة الدين »(١) .

ان الايمان لايمكن الا ان يصدر عن عقيدة صادقة. وبالتالي يجب ان ينبع من القلب وان يصدر عن رضا خالص وطمأنينة صادقة. ولاخير في كلمة ينطق بها اللسان زورا ويكفر بها القلب فذلك هو النفاق ويعده الاسلام شراً من الكفر الصريح .(٢) وقد ورد في القرآن الكريم مايؤيد حرية العقيدة ولااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ولوشاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»(٣) والرسل الذين يرسلهم الله سبحانه وتعالى لمجرد تبليغ الرسالة ، وتقع على الانسان تبعية اختياره وتحمله لمسؤولية حريته: «فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بعباده. فهل على الرسل الا البلاغ المبين، فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ، فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ »(٤) . ويبدأ صراع الانسان منذ خلقه عندما طلب الله سبحانه وتعالى من الملائكة ان يسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس فلعنه الله الى يوم الدين: «واذ قال ربك للملائكة أني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى ان يكون مع الساجدين»(٥) ويسأل الله ابليس عن

---

(١) م . س ص٣٤

(٢) القرآن وقضايا الانسان ص٩٦

(٣) البقرة : ٢٥٦ ، يونس : ٩٩

(٤) آل عمران : ٢٠ ، النحل : ٣٥ ، المائدة : ٩٢ ، الشورى : ٤٨

(٥) الحجر : ١٥ ، ٢٨-٣١

السبب في عدم سجوده : «مالك ان لاتكون مع الساجدين؟ قال: لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون : قال: فاخرج منها فانك لرجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين»(١). ويشتد الصراع بين ابليس وآدم حتى يوقعه في الخطيئة ويؤدي الى هبوطه الى الارض ويمضي صراعهما على الارض فيأتيه من كل جانب وينبعث من اعماقه: «يجيئه من مسارب العاطفة والوجدان والنفس او يندفع اليه من منافذ الحس او يستصرخ فيه شهوات الجسد او يتقدم اليه محملا ببهرج الحياة وزينتها . يجند لقتاله والمروق به على ساحة الخير كل القوى المادية والمعنوية وكل الذين يختارون بارادتهم ان ينتموا اليه اناسا كانوا ام شياطين أم جناً . وبرغم من ان اسلحة الشيطان كثيرة ومتنوعة وعاتية الا أن الانسان قد وهب ازاءها قوة معادلة وامكانات مكافئة تعطي للصراع الدائم بين الطرفين مدى واسعاً ممتداً»(٢). ان هذا التلبس للشيطان والتجسد باشكال مختلفة يشبه الى حد كبير الصراع بين الانسان والآلهة عند الاغريق الذين كانوا يتجسدون باشكال مختلفة ويشاركون البشر حياتهم ويشتد الصراع بينهم وبين البشر لانهم يمتلكون نزعات وطباعا وخصائص انسية. ويهبطون من السماء الى الارض لمشاركة البشر في نزواتهم وفعالهم واعمالهم مما ولد الصراع المستديم بين الالهة والبشر وكان السبب في خلق التراجيديا الاغريقية كما قال الباحث محمد عزيزة .

وفي الاسلام قد لعب الشيطان الدور الذي لعبته الالهة الاغريقية ، والصراع بين الحياة والموت مسألة قائمة في الاسلام كما هي قائمة في الديانة الوثنية الاغريقية وقد ورد في القرآن الكريم آياتٌ عديدة تصور انواع الصراع بين الحياة والموت والخير والشر ، تمرد الشيطان في عدم السجود لآدم لأنه مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ، والتزيين له للايقاع به وارتكابه المعصية وغضب الله منه ثم هبوطه الى الارض — كما مرّ بنا في آيات سابقة — والصراع المستديم حتى يوم الدين بين الانسان والشيطان ؟! « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنةً والينا ترجعون ، » وكذلك فتنا بعضهم ببعض . قال فانا فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ، ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وغرتكم الاماني ، أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا لمآمنا وهم

---

(١) الحجر ٣٢-٣٥

(٢) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٣٥-٢٣٦

لايفتنون ؟ . وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ، يابني آدم لايفتننكم الشيطان » (١) .

ان تمرد ابليس في السماء وعدم طاعة الله في السجود لآدم مما أغضب الله وسبب في طرده من الجنة من هذه النقطة فقد بدأ نوع من الصراع ؛ وراح ابليس يتلبس لبوساً مختلفاً ، كما نعلت الالهة الاغريقية – واصبحت له افعال وصفات تناسب لبوسه المختلف كما كان لآلهة الاغريق ، ومن ثم بدأ الصراع بينه وبين آدم في السماء حتى خدعه وجره الى عصيان أوامر الله فأكل من تلك الشجرة التي منعه الله من الأكل منها وشاركته حواء نعلته مما أغضب الله لعصيانهما : « قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإمايأتيكم مني هدى ، فمن اتبع هداي فلا يضلّ ولايشقى . ومن اعرض عن ذكري فله معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى » (٢) . وهكذا استمر الصراع بين البشر وأبليس على الارض متمثلا في الصراع بين الخير والشر ؟ « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفرو أولياءهم هم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك . اصحاب النار هم فيها خالدون (٣) .

ومما يؤكد حرية الرأي في الاسلام حق الجدال في الامور الدينية وما يتعلق فيها من احكام . والجدال في العربية من صيغ المفاعلة والاصل اللغوي للمادة في استعمالاتها الحسية المادية فيه معنى الصلابة ، يقال جدل فلانا اذا صرعه والجدل : عنف الخصومة في المناقشة واكثر مايستعمل الجدل والمجادلة في صراع الاراء والافكار حيث يحاول كل مجادل ان يفرض رأيه ويناضل عنه في صلابة ونفهم من آية الكهف ان الجدل من خصائص الانسان المميزة له من غيره من الكائنات : (لقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا). فلو لم يكن من شأن الانسان الجدل لكان حسبه ماجاءه من آيات بينات فيها تعريف للناس من كل مثل (٤). ويتجلى الصراع متنوعاً قائماً في صميم العلاقات البشرية . ويشتد الصراع بين الايمان وعدمه والتشكك : «واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لايعلمون

---

(١) الانبياء : ٣٥ ، الانعام : ٥٣ طه : ٨٥ ، العنكبوت :٣ ، الدخان :١٧ العنكبوت :٢ الانبياء :١١١ ، الحج : ٥٣ ، الاعراف :٢٧

(٢) طه : ١٢٣–١٢٤

(٣) البقرة : ٢٥٧

(٤) القرآن وقضايا الانسان ص١١٦

شيئاً ولا يهتدون»(١). «بل قالوا: انا وجدنا آبائنا على امة وانا على آثارهم مهتدون. وكذلك ماارسلنا من قبلك في قرية من نذير الاقال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون: قل: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا: انا بما ارسلتم به كافرون»(٢). ونجد مثل هـــذا الصراع بين الايمان والتشكك عبر التاريخ البشري ويتجلى هذا الصراع على اشده بين نوح وقومه حتى يأتيهم الطوفان ونجد من بين الذين خاصموه بعضاً من اولاده ويستمر هذا الصراع بين الايمان والاحزاب: «كذلك قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب»(٣) . ومثل قوم نوح والاحزاب قوم لوط الذي بغوا وجادلهم ابراهيم وطلب لهـــم الغفران والشفاعة ولكنهم ذاقوا نتيجة ماقترفت ايديهم: «فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب. يابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء أمـــر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود» (٤) .

وقد ظهر الصراع على اشده في المجتمع الاسلامي في اطاره السياسي ابتداءا من مقتـل عثمان مرورا بمعركتي الجمل وصفين وانتهاء بصراع الاحـزاب في العصرين الاموي والعباسي على يد المغول. ليبدأ صراع جديد بين الطوائف والفرق والـدويلات وخاصة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية . واذا استمر الصراع السياسي في المجتمع الاسلامي ولم ينته حتى عصرنا هذا. فقد وازاه صراع فكري وعقائدي ومذهبي بين الجبرية والمعتزلة والاشعرية والصوفية والشيعية والفرق الاسلامية الأخرى.(٥) ومن خلال هذا الصراع الطويل تتحرك مياه التاريخ فلا تركد ولا تسكن ، فالارادة الحرة والاختيار المفتوح اللذان منحا للانسان فردا وجماعة يقودان بالضرورة الى عدم توحد البشرية وتحولها الى جماعة واحدة. ان قيمة الحياة وصيرورتها الحضارية الدائمة تكمن في هذا الصراع القائم بين الكتل البشرية المختلفة المتضادة والموزعة . وقد تشهد الكتلة الواحدة تغيير او انقساما وتنوعا وصراعا ، هذه هي طبيعة العلاقات البشرية مادامت تمارس حريتها في الأخذ

---

(١) المائدة : ١٠٤

(٢) الزخرف : ٢٢-٢٤

(٣) فاطر : ٥

(٤) هود : ٧٤ ، ٧٦

(٥) للاستزادة ينظر / القرآن وقضايا الانسان ص١٢٥-١٥٠

والعطاء(١) ونستدل بما ورد في القرآن الكريم على هذا الصراع المجتمعي والتطور الفعال للتأريخ: «ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن الله يدخل من يشاء في رحمته والظالمون مالهم من ولي ولا نصير. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات. وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما يختلفون. ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم.لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم .» (٢) ان الاسلام يحدثنا من خلال كتاب الله وسنة رسوله ان صراع المسلم في العالم فردا وجماعة يتخذ اتجاهين احدهما باطني ذاتي سماه الرسول (ص): (الجهاد الاكبر) لما يتطلبه من مصاعب ويستلزمه من قدرة على المقاومة والمراقبة والحذر والتجرد وهو يهدف الى مواجهة الانسان لذاته وتغييرها تغييرا مركباً مستمرا؛ والمسلم يجد نفسه ازاء تجربة صراع ذاتي دائم لمجابهة قوى الشر والسلب في نفسه والتفوق عليها.(٣) وقد وردت آيات قرآنية كريمة للدلالة على هذا الصراع النفسي.

ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله غني عن العالمين» . (٤) ويتصل الصراع الفردي بالصراع الجماعي (الافقي) على مستوى العالم، مذهبياً وسياسياً وعسكرياً واخلاقياً واقتصادياً وحضارياً وتأريخياً وهو بهذا يمثل مساحة للحركة أوسع بكثير من تلك التي تحتلها صراعات التفاسير المذهبية سيما المثالية والمادية ، كما يتضمن ديمومة زمنية يعبر بها حديث الرسول (ص) : (الجهاد ماض الى يوم القيامة) . وبين لنا القرآن الكريم ، أن هذا الصراع دائم ببين معسكرين كبيرين ينتمي كل منهما الى فكرة ويلتزم موقفاً وهو صراع ميتاً فيزيقي ازلي بين الانسان والشيطان بين الخير والشر ،وان هذا الصراع يضع الامة الاسلامية امام مسؤوليتها الحركية الكبرى في العالم ويمنحها فاعلية ازلية دائمة ازاء التجارب والمواقف البشرية تتجاوز حدود الزمان والمكان(٥) «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ؛ والذين كفروا يقاتلون الطاغوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان أن كيد الشيطان ضعيفاً . فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا

---

(١) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٣٩-٢٤٠

(٢) الشورى : ٨ ؛ المائدة : ٤٨ ، يونس : ١٩ ، هود : ١١٩ ، الحج : ٦٧

(٣) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٤٦

(٤) الرعد : ١١ ، العنكبوت : ٦

(٥) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٤٧ ، ٢٤٩

من قبلهم قل : فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين » (١) ، ويرفع الاسلام الأمة الاسلامية الى موقع الشهادة على الناس ذلك الموقع الوسط المميز الذي لن ترتفع اليه الاعندما تمارس جهادها الدائم على كل الجبهات ، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وقتالاً بالكلمة وكفاحاً مسلحاً (٢) :

«وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً(٣)

وهكذا يصل الانسان أو الانسانية في درجة الشهادة الى ذلك الموقف التراجيدي الذي ينتهي اليه بطل المسرح الاغريقي ، عبر مواقف تتعاظم فيها التضحية وتتجلى الصلابة والقدرة على مجابهة المخاطر ، فاذا ما انتهى جاءت نهايته قوية صلبة كصلابته وقوته وماشبه موقفه بالشهادة تجاه نزوات الالهة المتصارعة التي تنزل من علياتها الى مستوى الانسان العادي وتتمثل فيها نزواتها الخاصة المهلكة .

وهكذا نجد ان مسألة الصراع على انواعه المختلفة موجود في الاسلام على العكس مما قال به المستشرقون واشياعهم في ركابهم من الباحثين العرب كما اسلفنا آنفاً .

الا أن هذا الصراع ليس دائماً قوة ايجابية تشد حركة التاريخ الى امام ، وانما قد يتمخض الصراع أحياناً عن ردة عكسية تنتج عن تفتت التجربة التاريخية وسقوطها في صراع غير متكافيء مع قوة قد تفوقها بكثير ، ان الذي يملك زمام العقل الواعي والارادة عبر التاريخ هو الانسان وحده . ومادام الانسان حراً في اعتماده على قدراته هذه فانه قد يسيء وقد يجيد ولكنه لايقدر على احاطته بالضمانات الكافية فيجيء الصراع لكي يكشف عن نقاط الضعف في التجربة البشرية (٤) وهكذا نجد ان الصراع الانساني في اطاره الفردي والجماعي مرتبط ببعضه أشد الارتباط ويصعب التفريق بين أنواع الصراع . وهكذا تتلاشى أدعاءات المستشرقين عن عدم وجود الصراع في الاسلام ومن سار في ركابهم من الباحثين العرب بوعي مقصود أو من دون أدراك لطبيعة الاسلام ومفاهيمه العظيمة .

---

(١) الانفال : ٥٣ ، النساء : ٧٦ ، يونس : ١٠٢-١٠٣

(٢) التفسير الاسلامي للتاريخ ص٢٤٩ .

(٣) البقرة : ١٤٣ .

(٤) التفسير الاسلامي للتاريخ ص ٢٥١

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أثر العرب في الحضارة الاوربية ، عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- الاسلام والمسرح . محمد عزيزة ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- اصالة الفكر العربي الاسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ، انور الجندي ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٩ .
- اصول الدين الاسلامي ، رشدي عليان وقحطان عبد الرحمن الدوري ، دار الحرية بغداد ، ١٩٧٧ .
- اضواء على الفكر الاسلامي ، المكتبة الثقافية ، العدد ١٤٩ ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، عبدالرحمن بدوي ، دار النهضة المصرية القاهرة ، بلا تأريخ
- التفسير الاسلامي للتأريخ ، عماد الدين خليل ، م دار الاضواء ، بغداد ، ١٩٧٨
- الحضارة العربية ، محمد شكري عياد ، م — الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- السيرة النبوية ، ابن هشام ، الحلبي م ، القاهرة ، ١٩٣٦ .
- الشخصانية الاسلامية ، محمد عزيز الحبابي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ .
- شعر الرعاة ، محمد صقر خفاجة ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، بلاتاريخ
- الخصائص ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الثانية .
- العرب والمسرح . محمد كمال الدين ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع ، بيروت ١٩٤٥ .

فجر الاسلام ، أحمد أمين ، م النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

- الفلسفة القرآنية ، عباس محمود العقاد ، دار الهلال ، القاهرة ، بلا
- فن التمثيل العربي ، زكي طليمات ، م حكومة الكويت ، ١٩٦٥ .
- الفن المسرحي في الادب العربي الحديث . محمود حامد شوكت ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٦٣ .

- القرآن وقضايا الانسان ، عائشة عبدالرحمن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٩٧٣
- نشور ولباب ، زكي نجيب محمود ، م الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- محاضرات عن مسرحيات شوقي ، محمد مندور ، معهد الدراسات العربية العليا ، القاهرة ، ١٩٥٥
- المسرح ، محمد مندور ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا
- الملك اوديب ، توفيق الحكيم ، م النموذجية ، القاهرة ، بلا .
- من حديث الشعر والنثر ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا

الدوريات

- مجلة الازهر ، مايس ، ١٩٥٦ ، القاهرة
- مجلة ديوجين ، العدد ٤٨ ، ١٩٦٤ ، بيروت .
- مجلة كلية الاداب ، العدد ١٥ ، ١٩٧٢ ، بغداد .
- المجلة المصرية ، العدد ١١١ ، ١٩٦٦ ، القاهرة .